بسم الله الرحمن الرحيم

# انتخابات النمسا مسمار آخر في نعش العولمة

**الخبر:**

أقر حزب الحرية اليميني المتطرف بهزيمة مرشحه نوربرت هوفر مساء الأحد في الانتخابات الرئاسية في النمسا أمام المرشح المستقل ألكسندر فان دير بيلين (رئيس حزب الخضر سابقا). وتشير النتائج الأولية إلى حصول فان دير بيلين على حوالي 53 في المئة من الأصوات، مقابل 47 في المئة لهوفر. ومنصب رئيس الدولة في النمسا فخري، لكن فوز هوفر كان سيشكل انتصارا جديدا للمعسكر الشعبوي. وارتكزت حملة هوفر على ضمان جودة الحياة ومناهضة المهاجرين، في الوقت الذي سادت فيه أجواء من القلق في النمسا بشأن أعداد اللاجئين الوافدين إلى البلاد. وخشيت الأحزاب الموجودة في السلطة من انتصار هوفر بشكل يعزز موقف حزب الحرية في الانتخابات البرلمانية المقبلة عام 2018.

رحب قادة الاتحاد الأوروبي بنتائج الانتخابات، التي تتزامن مع مخاوف من ارتفاع أسهم التيارات الشعبوية بشكل يحط من مكانة الأحزاب العريقة، فقد صرح فرانك والتر شتاينماير وزير الخارجية الألماني: "إن عموم أوروبا تنفست الصعداء". بينما احتفى اليمين الشعبوي عبر أوروبا بحزب الحرية واعتبر موقفه ينم عن شجاعة وقوة وأنه نقطة لصالح صعود اليمين. حيث صرحت مارين لوبان زعيمة اليمين المتطرف في فرنسا عبر حسابها في تويتر "أهنئ حزب الحرية الذي خاض المعركة بشجاعة. النصر سيتحقق في الانتخابات التشريعية المقبلة".

**التعليق:**

كتب الخبير الاقتصادي الفرنسي توماس بيكتي (صاحب كتاب رأس المال في القرن الواحد والعشرين) مقالا في صحيفة اللو موند الفرنسية ترجمته الغارديان البريطانية ونشر في 16 تشرين الثاني/نوفمبر بعنوان "إن لم نعد التفكير بالعولمة فإن نهج ترامب سينتصر" وذكر بيكتي في مقاله "السبب الأكبر لهذا الاختلال الانتخابي هو اللامساواة المتعاظمة، ومتابعة السير في الطريق ذاتها لم تعد خيارا... الدرس الأهم لأوروبا والعالم واضح: يجب أن نغير اتجاه العولمة وعلى نحو عاجل". ونسب بيكتي صعود ترامب (وقس عليه صعود اليمين الشعبوي عبر أوروبا) إلى تفجر اللامساواة الاقتصادية والجغرافية في الولايات المتحدة وامتدادها عبر العصور.

انقلب السحر على الساحر وجنى الإنسان العادي في بلاد الغرب السراب من وراء أكذوبة العولمة. فوجد الفرد العادي من الطبقات المهمشة ثمار الرأسمالية، التي تعيش أزمة حقيقية، وذاق نتاج مقتضيات السوق الحر فتذمر وشعر بالغبن والخيانة. واتسعت الهوة بين الفقراء والأغنياء وانحسرت مطالب المهمشين في حماية نظام الضمانات (الاجتماعية) ومراجعة السياسات الضريبية دون الإخلال بمستوى الخدمات. وتحولت العولمة لهاجس وانقلبت الرغبة في الانفتاح على العالم إلى سعي للانكماش والانغلاق في سبيل المحافظة على المستوى المعيشي في البلاد وحماية الهوية القومية.

نعم كان للعولمة بريق عندما اقتصر الأمر على الاستفادة من ثروات المستعمرات سابقا فغزت منتجات الشركات الغربية (أو ما تسمى المتعددة الجنسيات) الأسواق العالمية وتحررت التجارة العالمية بشكل حقق الرفاهية للدول الكبرى، بينما دمرت اقتصاد بلاد ووسعت من دائرة الفقر وكبلت الناس في العالم الثالث بالديون المركبة. وقد تباهى الفرد في الغرب بالعولمة ومكاسبها وما توفره من سهولة في التواصل والعمل والحرية في التنقل، وفجأة أصبحت العولمة خطرا وشرا مستطيرا عندما طُلب منه أن

يسدد ضريبة بسيطة تتمثل في فتح الحدود أمام المهاجرين الذين أتوا بثقافات وعرقيات وأديان مختلفة. وتحولت صرخات اليمين المتطرف من هامش المشهد السياسي في الغرب لكرة ثلج تكاد تهدد استقرار الدول الغربية. وبات القلق يحاصر الإنسان الأوروبي الذي يشعر بالتهميش والخوف من الانفتاح على البلاد الأخرى خصوصا في ظل أزمات اقتصادية أظهرت ما في المبدأ الرأسمالي من تناقضات متجذرة فيه. والمفارقة أن هذا الشعور بالقلق ينتشر كالوباء ولم يسلم منه حتى بلاد مثل النمسا تحظى بمؤشرات اقتصادية تحسدها عليها الدول المجاورة.

لقد صور الإعلام العالمي خسارة اليمين الشعبوي في النمسا كهزيمة نكراء واحتفل البعض بهذا الانتصار للمرشح المستقل فان دير بيلين متناسين أن قرابة 47% من الناخبين (حسب التقديرات الأولية) اختاروا مرشحا من أقصى اليمين في انتخابات حبست أنفاس المتابعين وأعادت للذاكرة أحداث ثلاثينات القرن المنصرم وصعود الفاشية لمقاليد الحكم في أوروبا وما تبع ذلك من أحداث جلبت الدمار والهلاك للملايين عبر العالم. كانت النمسا قاب قوسين أو أدنى من انتخاب أول رئيس يميني متطرف يتبعه الملايين من المتذمرين الموبوئين بكراهية الأجانب ورفض العولمة.

يختتم بيكتي مقاله الشهير بالمطالبة بمراجعة كلية وتغيير للخطاب السياسي حول العولمة بشكل يراعي التنمية المستدامة والبنى التحتية وأنظمة صحية وتعليمية، ويحذر من أن الإخفاق في توفير هذا يعني أن نهج ترامب سينتصر. فطرح بيكتي بعض المقترحات والمعالجات الترقيعية علها تطيل من عمر النظام الرأسمالي وتخفف من هول الأزمة الحالية. ولكن هل نجحت الإصلاحات الترقيعية عبر العقود الماضية ومحاولات إصلاح إشكاليات الرأسمالية منذ نشأتها وحتى الآن؟ وهل منعت هذه المعالجات من الوصول لهذه اللحظة التاريخية أم أنها زادت الرأسمالية تشوها وتعقيدا؟

مثل هذه المراجعات تبرز ما رددناه مرارا من أن الرأسمالية تخطط وتخطط وتضيف أرقاما إلى أرقام وتتناسى أن مدار الأمر هو الإنسان الذي أودع فيه الخالق المدبر حاجات وغرائز تحتاج لإشباع متناغم، فإذا أشبعت ناحية وتركت أخرى أصيبت المنظومة الإنسانية بالخلل والاضطراب. لقد سقطت فكرة العولمة أمام الفشل في تقسيم الثروات وتجاهل أثر العولمة الفئات المهمشة وتضاعف اللامساواة على جميع المستويات. ورفضها أهلها في أول اختبار حقيقي تمثل في الحركة الديمغرافية في أوروبا وأزمة المهاجرين وتهويل أثر هذه الهجرة على اقتصاد الدول الغنية.

لقد وقع الغرب في شراك تناقضات مبدئه وفشله في معالجة القضية الاقتصادية عبر توزيع الثروة بشكل عادل بين الناس فترك الفقراء حتى في بلاده فريسة لنظام بشري ادعى واضعوه أنه يدير نفسه بنفسه بينما خطط له أن يديره أصحاب رأس المال على حساب الفقراء. وانقلب الإنسان الغربي على فكرة انكماش العالم في قرية صغيرة منفتحة على بعضها عندما وجد عرقيات مختلفة في شوارع بلاده لأن المبدأ الرأسمالي أخفق في خلق نظرة صحيحة تصهر المجتمع بدلا من الالتفاف حول المصلحة.

**﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾**

**كتبته لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير**

**هدى محمد (أم يحيى)**